مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

الحكاية على لسان الحيوان في شعر محمّد عثمان جلال

الدّكتور يعقوب البيطار *
آمال حسن **

(تاريخ الإيداع 5 / 12 / 2017. قبل للنشر في 2 / 9 / 2018)

□ ملخّص □

إنّ ديوان " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " لمؤلّفه محمّد عثمان جلال ، من النّتاج الأدبيّ في القرن التّاسع عشر، ويعدّ هذا القرن وعاءً لغويّاً لتيّارات وروافد ثقافيّة متنوّعة كان لها تأثيرها في البيئة المصريّة ، فقد جاء تأليف هذا الكتاب في فترة زمنيّة استخدمت فيها بداية الأخذ بأسباب النّهضة الأدبيّة الحديثة ، من تعليم ، وبحوث ، وترجمة ، وصحافة وغيرها لمواجهة فلول الإرث الفكريّ واللّغويّ من عصور السّيادة الأجنبيّة .

ويمكن القول:إنّ هذا الدّيوان يعدّ من أوائل الإسهامات المترجمة التي عبّدت الطّريق لإنشاء أدب الطّفل في الأدب العربيّ الحديث في مصر ، عن طريق تعريب بعض حكايات الشّاعر الفرنسيّ (لافونتين) على ألسنة الحيوانات .

لم يقف الشّاعر محمّد عثمان جلال عند حدود التّرجمة الحرفيّة ، ولم يلتزم بنقل الحكايات كما هي في أصولها الأجنبيّة ، بل حذف منها ، وعدّل ، وأضاف ، واقترب أيضاً من الرّوح المصريّة الصّميمة ، فعبّر عن ذلك من خلال منظومات ومقطوعات من تأليفه تسترفد الأدب العربيّ الوعظيّ الحكيم .

الكلمات المفتاحيّة : الحكاية ، الحيوان ، حكايات ، لافونتين ، عثمان جلال .

* أستاذ في قسم اللّغة العربية وآدابها ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللّاذقية ، سوريّة .
** طالبة دكتوراه ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين ، اللّاذقية ، سوريّة .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

The tale on the tongue of animals in the poetry of Mohammad Osman Jalal

Dr. Yacoub Al- Bittar*
Amal Hasan **

(Received 5 / 12 / 2018. Accepted 2 / 9 / 2018)

□ ABSTRACT □

The book " Awakening eyes in Proverbs and Preaching" by Mohamad Osman Jalal is one of the literary works of the nineteenth century which is a linguistic content for various cultural currents and tributaries that influenced the Egyptian environment. The causes of the modern literary renaissance, from education, research, translation, journalism and others to face the remnants of the intellectual and linguistic legacy of the ages of foreign sovereignty.

It can be said that this book is one of the first translated contributions that paved the way for the creation of children's literature in the modern Arabic literature in Egypt through the arabization of some animal tales from the tales of the French poet Lafontaine.

The poet Mohammad Othman Jalal did not stop at the limits of literal translation, and did not commit to the transfer of the stories as they are in their foreign origins. He even deleted them and amended them. He also came close to the Egyptian soul. He expressed this through systems and pieces of his writings, .

Keywords: Tale, Animal, Tales, Lafontaine, Osman Jalal.

***Professor Dr. in the Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
****** postgraduate student, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدّمة :

لعلّ ديوان " العيون اليواقظ " أوّل محاولة عربيّة تعبّد الطّريق أمام الكتّاب لإرساء دعائم أدب الطّفولة ، فقد سبق الشّاعر محمّد عثمان جلال الشّاعر أحمد شوقي في ديوانه " الشّوقيّات " الذي طبع للمرّة الأولى عام 1898م، ويتضمّن باباً للحكايات والقصص الشّعريّة للأطفال ، وقد تأثّر فيه شوقي بأسلوب نظم لافونتين لحكاياته . وقد ترجم محمّد عثمان جلال واقتبس من شاعر الحكايات الفرنسيّ الشّهير " لافونتين " ، وأعاد نقل حكاياته الخرافيّة إلى اللّغة العربيّة بديوانه " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " الذي طبع عام1978م ، والتي تكشف لنا منظومة الختام فيه عن قصديّة توجّه أغلب منظومات الدّيوان للأطفال بهدف التّعليم باستخدام الأدب التّهذيبيّ أو الأدب الحكيم عن طريق القصّة الشّعريّة على ألسنة الحيوانات والطّيور ، وقد برع الشّاعر ، والمترجم محمّد عثمان جلال في نقلها إلى الأطفال ، والكبار بروح مصريّة عن الأدب الفرنسيّ .

ونذكر من الدّراسات السّابقة التي تناولت ديوان " العيون اليواقظ " لعثمان جلال : قصص الحيوان في الأدب العربيّ لعبد الرزّاق حميدة ، 1951م ، وخرافات لافونتين في الأدب العربي للدّكتورة نفوسة زكريّا ، 1976م ، وأدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال للدّكتور أحمد زلط ، 1994م .

أهميّة البحث وأهدافه :

تأتي أهميّة هذا البحث من كونه يسلّط الضّوء على السّمات الفنيّة والأسلوبيّة للحكاية على لسان الحيوان في ديوان " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " ، بوصفه أحد روافد الأدب التعليميّ ؛ بما اشتمل عليه من ألوان الأدب الوعظيّ الحكيم في غايته التّهذيبيّة ، بالإضافة إلى التّسلية والمتعة .

ويهدف البحث إلى توضيح المميّزات الفنيّة في منظومات " العيون اليواقظ " ، وأهمّها نجاح الشّاعر في أسلوب القصّ الشّعريّ المحبّب للطّفل ، واستخدامه لغة سهلة مألوفة ، وأوزاناً شعريّة مناسبة ، تكشف عن شاعريّته . يضاف إلى ذلك براعة الشّاعر في توظيف أدواته الفنيّة .

منهجية البحث :

اعتمد البحث المنهج الوصفيّ ، الذي يعتمد على دراسة الظّاهرة ، ويهتمّ بوصفها وصفاً دقيقاً ، وبيان خصائصها ، ومن ثمّ الوصول إلى تفسيرات منطقيّة لها .

تعريف الحكاية على لسان الحيوان :

الحكاية على لسان الحيوان أو ما أجمع مؤرّخو الأدب والنّقّاد ودوائر المعارف على تسميتها الخرافة هي قصّة يتكلّم الحيوان فيها ، ويمثّل ، والغالب فيها أن يكون لها مغزى ، ولا يقتصر دور البطولة في هذه القصّة على الحيوان وحده ، بل يقوم بدور البطولة فيها الطّير ، والنّبات ، والجماد ، وإنّما نسبت إلى الحيوان لأنّ موضعه فيها أبين من غيره ، والقصص التي وردت عنه أكثر عدداً ، وأبطال هذه القصّة سواء أكانوا من الحيوان أم غيره ليسوا إلّا رموزاً لأشخاص حقيقيّين .

ولكلمة خرافة " Fable " معان متعدّدة منها :

1- إنّها قصّة حيوانيّة لا مغزى لها " Beast Fable " .

2- إنّها قصّة حيوانيّة لها مغزى وعندئذ تساوي موعظة " Apologue " .

3- إنّها تساوي قصّة خياليّة (Fiction) فهي أعمّ من قصّة حيوانيّة . [1][1]

وقد ترجم ناصر الحاني كلمة " Fable " بكلمة أسطورة ، عادّاً إيّاها اصطلاحاً أدبيّاً أطلق أصلاً على كلّ حكاية خياليّة . [2][2]

وترى الدّكتورة نفوسة زكريّا سعيد أنّ كلمة " خرافة " لا تزال الكلمة الدّقيقة التي تؤدّي إلى المعنى الاصطلاحي الذي يعني القصّة على لسان الحيوان . [3][3]

ويبيّن الدّكتور محمّد غنيمي هلال أنّ الحكاية على لسان الحيوان ذات طابع خلقيّ وتعليميّ في قالبها الأدبيّ الخاصّ بها ، وهي تنحو منحى الرّمز في معناها اللّغويّ العامّ ، فبالرّمز يعرض الكاتب أو الشّاعر شخصيّات وحوادث، لكنّه يريد شخصيّات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة ، يتتبّع المرء في قراءتها صور الشّخصيّات الظّاهرة ، وغالباً ما تحكى على لسان الحيوان ، أو النّبات ، أو الجماد ، ولكنّها قد تحكى كذلك على ألسنة شخصيّات إنسانيّة تتّخذ رموزاً لشخصيّات أخرى .[4][4]

ولدى الوقوف عند ما جاء به الدّكتور محمّد غنيمي هلال يتبيّن لنا أنّه ركّز على المعنى الرّمزيّ في الحكاية على لسان الحيوان ، فعندما يتوفّر لهذه الحكايات المعنى الرّمزيّ ، فإنّها تؤلّف جنساً أدبيّاً فنيّاً ، ويصبح لها مكانتها الأدبيّة، فالرّمز في هذه الحكايات هو الذي نقلها من مرحلتها الفطريّة المتمثّلة بالأساطير ، والخرافات التي تفسّر ظواهر الطّبيعة ، والحكايات التي تشرح ما سار بين النّاس من أمثال على لسان الحيوان إلى المرحلة الأدبيّة الفنيّة .

" وحكايات الحيوان تنتشر في جميع أنحاء العالم ، وقد احتفظت بمقدرتها على الحياة عبر مئات السّنين ، ابتداء من ملحمة جلجامش البابليّة ، ومن الإغريق حتّى عصرنا الحاضر . " [1][5]

ومهما اختلف الباحثون في تعريف الخرافة ، فإنّنا نجد شبه اتّفاق على تعريف الخرافة بوصفها قصّة حيوانيّة ، أبطالها الحيوانات ، وقد يشترك معها الإنسان ، أو النّبات ، أو أشياء أخرى ، وتهدف هذه القصّة إلى مغزى أخلاقيّ ، حتى إن وجدت بعض الخرافات تخلو من هذا المغزى الصّريح ، لأنّنا يمكن أن نتعلّم أشياء كثيرة جيّدة من سلوك أبطال الخرافة ، وتصرّفاتهم ، وأفكارهم .

محمّد عثمان جلال وكتابه " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " :

محمّد جلال عثمان (1828–1898) م أديب مصريّ من الرّيف . نشأ في عصر تكوين مصر الحديثة ، وتلقّى تعليمه في المدارس المصريّة حتى تخرّج في مدرسة الألسن على يد رفاعة رافع الطهطاوي رائد حركة التّرجمة في مصر ، ثمّ تولّى عدّة مناصب حكوميّة ، كان آخر ما تولّاه منها منصب قاض في المحاكم المختلطة عام 1881م . [2][6]

---

[1] 1- ينظر : حميدة ، د. عبد الرّزاق. قصص الحيوان في الأدب العربيّ . مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، 1951م ، ص 25- 26.

[2] 2- ينظر : الحاني ، ناصر . من اصطلاحات الأدب الغربيّ . دار المعارف ، مصر ، 1959 ، ص 53.

[3] 3- ينظر : سعيد ، د. نفوسة زكريّا . خرافات لافونتين في الأدب العربيّ. كليّة الآداب . جامعة الاسكندريّة ، مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة ، 1976 م ، ص7.

[4] 4- ينظر : هلال ، د. محمّد غنيمي . دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربيّ المعاصر . جامعة الدّول العربيّة ، معهد الدّراسات العربيّة العالميّة ، 1961- 1962م ، ص 70 .

[5] 1- فون دير لاين ، فردريش . الحكاية الخرافيّة . تر : د. نبيلة إبراهيم ، ط 1، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، نيسان 1973، ص90.

[6] 2- ينظر : سعيد ، نفوسة زكريّا . خرافات لافونتين في الأدب العربيّ ، ص42.

أمّا دوره في الحياة الأدبيّة فيبرز فيما نقله إلى اللّغة العربيّة من آثار الأدب الفرنسيّ العالميّة ، لصلته الوثيقة باللّغة الفرنسيّة ، وبتعلّمها ، وتعليمها ، فقد اتّخذ التّرجمة عن الفرنسيّة شغل حياته سواء في أعماله الوظيفيّة أم في أعماله الأدبيّة ، فقد اشتغل مترجماً بعد تخرّجه في مدرسة الألسن في مختلف الدّواوين الحكوميّة .

وقام في أثناء أعماله الوظيفيّة بترجمة عديد من الكتب الفرنسيّة العلميّة والأدبيّة ، ومن الكتب الأدبيّة التي ترجمها : رواية " بول وفرجيني " للكاتب الفرنسي برناردين دي سان بيير ، وأخرجها سنة 1872م . وترجم كذلك أربع ملاه لموليير ، وقد جمعها في كتاب واحد بعنوان " الأربع روايات من نخب التياترات " ، وأخرجه سنة 1889م . وترجم ثلاث مآس لراسين ، وجمعها في كتاب واحد بعنوان " الرّوايات المفيدة في علم التّراجيدة " ، وأخرجه سنة 1893م . [3][7]

وأوّل عمل أدبيّ قام محمّد عثمان جلال بنقله عن الفرنسيّة هو منظومات لافونتين الخرافيّة ، ووضعها في كتاب بعنوان " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " . وجان دي لافونتين (Jean de Lafontaine) (1621–1695) م هو رائد فنّ الحكاية على لسان الحيوان ، وأشهر من أدخل هذا الجنس الأدبيّ إلى الآداب العالميّة الحديثة ، وأعطاه أبعاداً شعريّة ودراميّة جديدة .

وشرع محمّد عثمان جلال في نقل خرافات لافونتين في عهد عبّاس الأوّل ، وانتهى من ترجمتها في عهد سعيد باشا ، وفي عهد الخديوي عبّاس حلمي الثّاني ظهرت الطّبعة الأولى من ديوان " العيون اليواقظ " في ثوب أنيق عام 1313هـ / 1885م ، وقد أقرّ آنذاك على تلاميذ المدارس الابتدائيّة بأمر من الخديوي نفسه . [1][8]

وقفت المقدّمة الطّويلة للعيون اليواقظ عند تتبّع حياة " إيثوب " ونوادره ، حيث يشير فيها إلى أنّ إيثوب رجل من رجال اليونان، وكانت ولادته بعد تأسيس مدينة روما بمائتي سنة ، وقتله أهل مدينة " دلفيس " في اليونان بعد أن اتّهموه بالسّرقة .

وفي منظومة الختام التي أودعها محمّد عثمان جلال كتابه " العيون اليواقظ " تكشف لنا عن قصديّة توجّه أغلب منظومات الدّيوان للأطفال بهدف التّعليم عن طريق القصّة الشّعريّة على ألسنة الحيوانات والطّيور ، وقد برع الشّاعر، والمترجم في نقلها إلى الأطفال ، والكبار بروح مصريّة عن الأدب الفرنسيّ . يقول الشّاعر في منظومة الختام من بحر الرّجز في شعر مزدوج القافية :

فكلّ ما قيلَ عن البهائم مقصدُهُ التّعليمُ لابنِ آدم
حوادثُ الأزمانِ فيهِ جُمعت في حكمٍ بروقها قد لمعت
في ظلِّ من تعلو لديهِ النّاس وهو خديوي مصرنا عبّاس
يغرسُهُ في سائرِ المدارس لأنّه من أحسنِ المغارس [2][9]

ما نلاحظه هو أنّ محمّد عثمان جلال لم يذكر في مقدّمة كتابه لافونتين الذي نقل عنه خرافاته ، ولم يشر إليه في المقدّمة أو في مضمون الكتاب . ويبدو أنّه أراد الاكتفاء بذكر المصادر الأولى للخرافات سواء في الآداب الغربيّة أم

---

[7] 3– انظر : المرجع السّابق ، ص 43– 44 . وكلمة (التراجيدة) هكذا وردت في المرجع المشار إليه .

[8] 1– زلط ، أحمد . أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال . ط 1 ، دار النّشر للجامعات المصريّة ، مكتبة الوفاء ، 1415هـ – 1994م ، ص 22 .

[9] 2– جلال ، محمّد عثمان . العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ . ط 1 ، مطبعة النّيل ، مصر، 1324هـ – 1906م ، ص209.

في الأدب العربيّ ، مع أنّنا نجد كثيراً من الخرافات التي وردت في " العيون اليواقظ " قد وردت بالعناوين نفسها التي وضعها لافونتين .

السّمات الفنيّة والأسلوبيّة للحكاية على لسان الحيوان في كتاب " العيون اليواقظ " :

أوّلاً – تعدّد مصادر الحكايات وتنوّعها :

تضمّن كتاب " العيون اليواقظ " مائتي حكاية ، معظمها مقتبس من لافونتين ، وبقيّتها عن مصادر عربيّة قديمة . وكلّ حكاية تضمّنت مثلاً أو حكمة ، استوحاها عثمان جلال من تجاربه في الحياة أو نقلها عن مصدر كالقرآن الكريم ، أو الحديث الشّريف ، أو الشّعر العربيّ القديم ، أو الأمثال العربيّة ، أو الأمثال المصريّة الشّعبيّة .

ومن أمثلة اقتباسه من القرآن الكريم : قوله في خاتمة حكاية " الضّفدعة التي تريد أن تساوي الثّور " :

وهكذا ضلالها أوقعها والنّفس لا تحمل إلّا وسعها [1][10]

حيث يشير إلى قوله تعالى : " لا تكلّف نفس إلّا وسعها " . [2][11]

وكذلك قوله في خاتمة حكاية " المها الذي نظر نفسه في الماء " :

وأنتم يا سامعي فانتبهوا لا تكرهوا شيئاً عسى أن تكرهوا [3][12]

فهو يشير إلى قوله تعالى : " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم " [4][13]

ممّا سبق نلاحظ مدى تأثّر الشّاعر بالحسّ الدّينيّ ، وتضمين البناء اللّفظي من قوله تعالى في القرآن الكريم .

ومن أمثلة ما اقتبسه من الشّعر العربيّ القديم ، بيت لأبي العتاهية [5][14] اختتم به حكاية " الحمامة والنّملة " :

فمن أغاثَ البائسَ الملهوفا أغاثه اللّه إذا أخيفا [6][15]

وكذلك اقتباسه شطر بيت للمتنبّي [7][16] اختتم به حكاية " سئ الطّبع " :

سمعته يشتكي يوماً فقلتُ له تأتي الرّياح بما لا تشتهي السّفنُ [8][17]

ومن أمثلة ما اقتبسه من الأمثال العربيّة قوله في خاتمة حكاية " الدّبة وصاحبها " :

وغالباً كلُّ عدوٍّ عاقل في النّاسِ خيرٌ من صديقٍ جاهل [1][18]

وكذلك قوله في خاتمة حكاية " الحمار والكلب " :

وهكذا في الأصول قالوا كما يدينُ الفتى يُدان [2][19]

ومن أمثلة ما اقتبسه من الأمثال المصريّة الشّعبيّة قوله في خاتمة حكاية " في الكلبتين " :

قالت قالوها مثولة اتمسكن لمّا تتمكّن [3][20]

---

[10] 1- جلال ، محمّد عثمان . العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ . ص7.

[11] 2- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية 233 .

[12] 3- جلال ، محمّد عثمان . العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ، ص 22 .

[13] 4- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية 216 .

[14] 5- سعيد ، نفوسة زكريّا . خرافات لافونتين في الأدب العربيّ ، ص 50 .

[15] 6- العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ، الحكاية 53 ، ص 54 .

[16] 7- خرافات لافونتين في الأدب العربيّ ، ص 50 .

[17] 8- العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ، الحكاية 183 ، ص 191 .

[18] 1- العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ، الحكاية 34 ، ص 36 .

[19] 2- المصدر نفسه ، الحكاية 31 ، ص 34 .

وقوله في خاتمة حكاية " البنت " :

فقد صحَّ ههنا قول من قالَ في النّكت

خطبوها تعزّزت تركوها تندّمت [4][21]

وهكذا نجد كيف نجح محمّد عثمان جلال في اقتباس المثل العربيّ ، وتوظيفه في خاتمة حكايته ؛ ليكون حكمة أو مغزى يستفيد منه القارئ ، وبأسلوب محبّب للصّغار ، ويظلّ هذا المثل عالقاً في أذهانهم يتذكّرونه عندما يتذكّرون الحكاية وشخصيّاتها المحبّبة لهم .

وعند دراسة ديوان " العيون اليواقظ " نجد أنّ محمّد عثمان جلال نقل من الشّعر العربيّ ، وتاريخ العرب ، وأمثالهم حكايات عربيّة خالصة نذكر منها على سبيل المثال : حكاية " الكرم " [5][22] التي نقلها عن قصيدة الحطيئة المشهورة ، التي يقول في أوّلها :

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما [6][23]

ومن الحكايات التي نقلها محمّد عثمان جلال من أمثال العرب والقصص التي وضعت لتفسيرها حكاية " الدّيك الخصيّ والصّقر " التي تحكي عن صقر لام ديكاً فرّ من الطّباخ قائلاً له : " كم ذا ينادون وأنت غافل " ، فيجيبه الدّيك في خاتمة القصّة :

هذا هو الطّباخ يا ابن ودّي يرغب في ذبحي وأكل كبدي

إنّك لا تؤخذ مثلي للشّوا دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى [1][24]

فمصدر هذه الحكاية حكاية عربيّة قديمة (البازي والدّيك) [2][25] التي رواها وزير أبي جعفر المنصور الخليفة العبّاسي لجلسائه عندما سألوه عن سبب ذعره لمّا استدعاه الخليفة ، مع أنّه من رجاله المقرّبين ، فقال : سأضرب لكم مثلاً من أمثال النّاس .

أمّا الخرافات التي نقلها محمّد عثمان جلال عن لافونتين فلم تكن ترجمة بالمعنى الدّقيق للتّرجمة ، فقد كان محمّد عثمان جلال يستوعب موضوع الخرافة وما تضمّنه من أفكار ، ثمّ يصوغه صياغة من عنده ، وأحياناً كان يتصرّف في تعريب الخرافات تصرّفاً واسعاً يبعدها عن نصوصها الأصليّة ، ومثال ذلك خرافة " السّلحفاة والأرنب " التي يقول لافونتين في أوّلها :

ما سرعةُ الرّكضِ تجدي إنْ تبغِ السَّفر

فسِرْ بميعادهِ ، واحذرْ من الكسل .

وقصّةُ " الأرنبِ والسّلحفاةِ " هي على صدقِ هذا القولِ خيرُ مَثَّل . [3][26]

نجد في الحكاية السّابقة أنّ لافونتين قد جعل حكمة الخرافة في بدايتها ، ثمّ ساق الخرافة دليلاً على صحّة تلك الحكمة ، وسرد الأحداث جاء عن طريق الحوار بين السّلحفاة والأرنب ، فقد اقترحت السّلحفاة على الأرنب أن يتسابقا ،

---

[20] 3- المصدر السّابق ، الحكاية 94 ، ص 95 .

[21] 4- المصدر السّابق ، الحكاية 72 ، ص 72 .

[22] 5- المصدر السّابق ، الحكاية 93 ، ص201.

[23] 6- الحطيئة . ديوان الحطيئة . تحقيق : نعمان أمين طه ، طبع مصر ، 1958م ، ص 396- 397 .

[24] 1- العيون اليواقظ ، الحكاية 144 ، ص 149 .

[25] 2- الجّاحظ . كتاب الحيوان . ج 2 ، تحقيق وشرح : عبد السّلام محمّد هارون ، ط 2 ، القاهرة ، 1385 هـ - 1965 م ، ص361.

[26] 3- لافونتين . حكايات لافونتين . تعريب : جورج أبي صالح وجورج شبلي ، د ط ، لبنان ، 1995م ، ص 245 .

وهنا سخر الأرنب من السّلحفاة التي أصّرت على السّباق ، ووافق الأرنب المغترّ بسرعته ، ورأى أنّه من الأشرف له أن يترك السّلحفاة تسبقه إلى مسافة ، ثمّ يجري بسرعة ، ويسبقها ، ولكنّه لم ينجح في ذلك ، وسبقته السّلحفاة ، وقالت له : " عليك قد فزت . ولكن ، ماذا لو كنت مثلي ، حاملاً بيتاً من الثّقل . "

ويعرّب محمّد عثمان جلال الخرافة السّابقة فيقول :

السّلحفاة والأرنب

حكاية ترجمتها بالعربي في سلحفا تسابقت مع أرنب
وحدّدا حدّاً على سفح الجبل وجعلا جعلاً لأوّل وصل
فاستغرق الأرنب نوماً واتّكل على قوى سرعته ما اتّصل
والسّلحفاة داومت في الجدّ فوصلت إلى أصول الحدّ
ومذ صحا الأرنب جاء يسعى رأى هناك السّلحفاة ترعى
قال لك الجعل وكلّ الأجر كم غافلٍ عن رحمةٍ لا يدري
سعيتِ يا أختاه في أعظمِ كدّ وهكذا في السّعي من جدَّ وجدْ [1][27]

نلاحظ أنّ محمّد عثمان جلال قد حافظ على عنوان الحكاية لكنّه خالف لافونتين في طريقة عرضها وصياغتها ، واختصر خرافة لافونتين ، فدخل مباشرة في قصّة السّباق ، مكتفياً بسرد الخطوط العريضة للقصّة ، وأوصلنا بهذه الخلاصة الموجزة إلى الحكمة التي جاءت على لسان الأرنب في نهاية الخرافة " وهكذا في السّعي من جدّ وجد " .

ولافونتين المبدع كعادته يحلّل شخصيّات أبطال خرافاته ، وكثيراً ما يظهر طابع هذا الشّاعر بأوضح الصّور ، ولاسيّما في رشيق سخريّته ورقيق عاطفته . " فهو يتناول في أمثاله موضوعات تقليديّة ، ثمّ يجدّدها بما يسكب فيها من طبعه الفنّيّ ، ومن تأثّراته ورشاقة تعابيره . " [2][28]

ولابدّ أن نشير إلى أنّ لافونتين نقل خرافة " الأرنب والسّلحفاة "من" إيسوب " . [3][29] وقد ترجم محمّد عثمان جلال زهاء ثلاث وستّين ومائة حكاية من حكايات لافونتين ، وصاغها شعراً في نظم عاديّ تارةً ، ومزدوج القافية تارةً أخرى .

ومصّر محمّد جلال عثمان بعض خرافات لافونتين ، وقد مال إلى ذلك بطبعه فهو مصريّ الأصل والمولد والنّشأة، واختلط بالعامّة بحكم الوظائف المتعدّدة التي تنقّل فيها ، فعرف عن قرب ميولهم وطبائعهم ونوادرهم ، ولذلك نقلها بدقّة وصدق ، وكشف عن البيئة المصريّة بكلّ خصائصها ، واللّهجة المصريّة بتعبيراتها وأساليبها الخاصّة . ومن تلك الخرافات التي نظمها بالعاميّة المصريّة الخالصة ، خرافة " القطّة التي قلبت امرأة " التي يقول في أوّلها :

زيّ القصّة دي ما يمكنشي عن راجل ويبيع الطّرشي
كان له قطّة جوّا بيته مطرح ما كان يمشي تمشي
من حبّه فيها يطعمها روس الضّاني ولحم الكرشي [4] [30]

نلاحظ أنّ محمّد عثمان جلال مصّر حكاية لافونتين ، ونظمها بالعاميّة المصريّة الخالصة ، وبذلك أنزلها عن مستواها الأدبيّ الرّفيع إلى مستوى شعبي ، باستخدامه اللّهجة المصريّة والألفاظ الشّعبيّة .

---

[27] 1- العيون اليواقظ ، الحكاية 21 ، ص 22 .

[28] 2- الحلوي ، حسيب . الأدب الفرنسيّ في عصره الذّهبيّ . ج3 ، ط2 ، 1956م ، ص 588 .

[29] 3- إيسوب . خرافات إيسوب . تر: مصطفى السّقا وسعيد جودة السّحار ، دار الكتاب العربيّ ، مصر ، ص 42- 43 .

[30] 4- العيون اليواقظ ، الحكاية 95، ص 96 .

يمكننا القول ممّا سبق إنّ محمّد عثمان جلال مزج بين مصدره الرّئيسيّ في الخرافات وهي خرافات لافونتين ، وبين مصادر أخرى عربيّة استقى منها المغزى الخلقيّ ، كالقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف ، وأشعار العرب وأمثالهم .

ثانياً – أسلوب القصّ الشّعريّ المحبّب للطّفل :

يمكننا القول : إنّ ديوان " العيون اليواقظ " يشكّل الخطوة الأولى لتعبيد الطّريق أمام مسيرة أدب الأطفال المكتوب في الأدب العربيّ الحديث في مصر ، وقد مثّل الشّاعر عثمان جلال مرحلة قائمة بذاتها وهي مرحلة " التّرجمة والتّعريب " التي شكّلت الإرهاصة الأولى في ميدان أدب الطّفل العربيّ .

وبعد وفاة محمّد عثمان جلال عام 1898م بسنة يشهد أدب الطّفل مرحلة جديدة رادها الشّاعر أحمد شوقي (1870 – 1932) ، وهي مرحلة التّأصيل الفنّيّ ، فقد دعا شوقي بعد عودته من فرنسا إلى إرساء دعائم لأدب الطّفل، وصرّح عن ذلك في مقدّمة الطّبعة الأولى من " الشّوقيّات " عندما ظهر ديوانه عام 1317هـ بقوله : " وجرّبت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشّهير ، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك ، وكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريّين ، وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأوّل وهلة ، ويأنسون إليه ، ويضحكون من أكثره ، وأنا أستبشر بذلك ، وأتمنّى لو وفّقني اللّه لأجعل لأطفال المصريّين مثلما جعل الشّعر للأطفال في البلاد المتقدّمة منظومات قريبة التّناول ، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم . " [1][31]

أ – لغة " العيون اليواقظ " السّهلة القريبة التّناول :

ذهب أحمد سويلم إلى أنّ عثمان جلال قام بنقل الحكايات عن لافونتين أو تعريبها ، وألبسها ثوب الرّوح المصريّة واللّغة العربيّة القريبة من الاستعمال اليوميّ ، وهذه قدرة – على حدّ قوله – لاتتوفّر للكثيرين ، وقد أجمع النّقّاد – ومنهم العقّاد ومحمّد غنيمي هلال – على أنّ ترجمة الكتاب كانت حرّة بحيث اختفت فيها معالم الرّوح الفرنسيّة ، وظهرت فيها الرّوح المصريّة بوضوح شديد . وهذا فضل يضاف إلى فضل إدخال هذا اللّون إلى العربيّة . [2][32]

تحتاج الكتابة للطّفل إلى معرفة بالقواعد السّليمة للكتابة الأدبيّة الفنيّة في القصّة ، والدراما ، والشّعر ، ويجب الابتعاد عن أسلوب الوعظ والإرشاد ، والنّصح المباشر . " وفي أسلوب كتابة القصّة يجب أن يوفّق كاتب الأطفال بين طريقته الخاصّة في التّفكير والشّعور والرّؤية، وبين طريقة الأطفال في هذا وفقاً لمرحلة النّموّ التي يكونون بها. " [3][33]

والقصص التي كتبت على لسان الحيوان أكثر تشويقاً ومتعة للأطفال ؛ لأنّ الأطفال يحبّون الحيوانات ، والحيوان في قصّته التي يقرؤها مشارك وفعّال في الأحداث ، وأحياناً يكون الحيوان معلّماً للطّفل ، فهو يلعب في الحكاية دوراً إنسانيّاً ، وهذا ما يسمّى (بالأنسنة) ، وهنا يدهش الطّفل ، ويتمّ إشباع مخيّلته .

نلحظ في ديوان " العيون اليواقظ " أنّ اللّغة المستخدمة هي العربيّة الفصيحة السّهلة التي لا تميل إلى التّعقيد، واللّغة الشّعريّة التي نستطيع أن نحدّد ملامحها عند عثمان جلال تقف عند مستويين : لغة وسطى مستعملة قريبة إلى حدّ ما من الفصيحة في طبقتها العالية ، ولغة عاميّة دارجة تقترب من لغة الواقع المعيش في معظمها ، وتنزل أحياناً قليلة إلى درك من الإسفاف اللّغوي عندما يسرف الشّاعر في استعمالها كما ينطق بها أصحابها ، وربّما يكون سبب

---

[31] 1– شوقي ، أحمد . الشّوقيّات . ط 1 ، المؤيّد والآداب ، 1898 م ، ص 9 .

[32] 2– سويلم ، أحمد . أطفالنا في عيون الشّعراء . ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1984، ص152.

[33] 3– نجيب ، أحمد . أدب الأطفال علم وفنّ . ط1 ، دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، 1411هـ / 1991م ، ص 80 .

ميل عثمان جلال لاستعمال اللَّهجة العاميّة كونها أداة توصيل للثّقافة الشّعبيّة ، ويضاف إلى ذلك خفّة ظلّه ، وميله إلى الفكاهة والمرح .

ومن أمثلة ميل عثمان جلال إلى السّهولة اللّغويّة في المفردات ، والتّراكيب في الحكايات التي ترجمها ، حكاية " الثّعلب والعنب " التي يقول في بدايتها :

حكاية عن ثعلب قد مرّ تحت العنب

وشاهد العنقود في لون كلون الذّهب [1][34]

وقوله أيضاً في حكاية " الثّوران والضّفدع " :

عجلان قد تشاجرا في عجله ومدّ كلّ للقتال رجله

وبرزت بينهما القرون واحمرّت الأنوف والعيون [2][35]

وكذلك قوله في حكاية " الضّفدعة والفأرة " :

ضفدعة مرّت عليها فاره قالت لها مرحبا يا جاره

ما ضرّ أن لو زرتني في داري إن كان في اللّيل أو النّهار

تأتين بعد زمن الشّتاء تتشرحين فوق سطح الماء [3][36]

ما نلاحظه في الحكايات السّابقة هو سهولة الألفاظ فيها ، وقربها من لغة الواقع المعيش ، وبساطة التّشبيهات ، ومحدوديّة الخيال ، وهذا ما يجعل الأطفال ينجذبون إلى هذه الحكايات ، ويفهمونها ، ويسرحون بخيالهم مع أبطالها من الحيوانات .

إنّ اللّغة أداة مهمّة من أدوات التّبليغ النّاجح ، ومن هنا ندرك أهميّة أن يمتلك كاتب الأطفال خبرة بقاموس الأطفال المحدود ، فيبتعد عن الرّموز والمجازات والكنايات ، ويتجنّب طول الجّمل ، وغرابة الصّور ، ويحرص على أن تكون صوره قائمة على الملمس والشّمّ والمذاق . وهذا مافعله عثمان جلال في حكاياته التي ترجمها في ديوانه " العيون اليواقظ " في تسهيله اللّغة وتقريبها من فهم الأطفال وإدراكهم . " ومقياس السّهولة والصّعوبة في اللّغة ليس محدوداً بحدود وضوابط ، بقدر ما هو محكوم بتقديرات الكاتب الذي يقيس به وضوح المعاني ، ومدى تداولها على ألسنة جمهور الأطفال أوّلاً ، وورودها في كتب المرحلة الأوليّة للتّعليم الأساسيّ ثانياً ، فيحاول الكاتب استخدام ما يلائم تطلّعات الطّفل من الألفاظ والتّراكيب السّهلة قريبة التّناول ، يسبكها في حلّة تريح الطّفل ، ولا ترهقه بالفهم والاستيعاب والحفظ . " [1][37]

ونجد الشّاعر عثمان جلال يستغرق أحياناً في التّيسير اللّغويّ ، ويبالغ فيه عندما يلجأ إلى استعمال العاميّة الدّارجة، كما نجد في حكاية " الكلب الأقطش والذّئب " :

اسمع حدّوته مشهورة عن كلب أودانه مشطورة

قال ليه سيدي دا يقطشني قدّام الكلبة الغندوره

---

[34] 1- العيون اليواقظ ، الحكاية 11 ، ص 14 .

[35] 2- المصدر نفسه ، الحكاية 49 ، ص 49 .

[36] 3- المصدر السّابق ، الحكاية 26 ، ص 28 .

[37] 1- قرانيا ، محمّد . جماليّات القصّة الحكائيّة للأطفال في سوريّة . منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2009، ص 59 .

بكره أطلع بين أخواتي مسكين ونفسي مكسوره [2][38]

وعلى عكس ممّا سبق نجد أنّ عثمان جلال قد نظم بعض حكاياته في لغة تقترب من لغة الشّعر في طبقته العالية ، ومثال على ذلك حكاية " الحصان والذّئب " :

الخيل في فصل الرّبيع تعتق وبين أنفاس النّسيم تطلق

وقد حكوا أنّ حصاناً قد عصى وترك السّوط وفارق العصا

وراح للرّاحة فوق المرج يشكو إلى اللّه عذاب السّرج [3][39]

ومن أمثلة المزاوجة بين العاميّة والفصحى ، ما جاء في حكاية "الحمامة والنّملة " :

فأوقعت عوداً لها من حطب وقالت اطلعي عليه واركبي [4][40]

ب – استعمال أسلوب التّضمين :

" ضمّن الشيء الشّيء : أودعه إيّاه كما تودع الوعاء المتاع ، وقد تضمّنه هو ، والمضمّن من الشّعر : ما ضمّنته بيتاً . والتّضمين عند البلاغيّين : هو استعارتك الأنصاف والأبيات من غيرك وإدخالك إيّاه في أثناء أبيات قصيدتك . ومن معاني التّضمين التي لخّصها السّيوطي : إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النّظم ، وهذا هو النّوع البديعي " . [1][41]

ومن أمثلة ذلك ما جاء في خاتمة حكاية " الجنايني وسيّده " :

وآية الملوك أوردوها إن دخلوا قرية أفسدوها [2][42]

إشارة إلى قوله تعالى : " قالت إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون " .[3][43]

ومن التّضمين أيضاً ما جاء في أوّل حكاية " الحمار حامل الكتب " :

إنّي رأيت في الضّحى حماراً قد حمّلوه أهله أسفارا [4][44]

ففي البيت السّابق تضمين ، وإشارة إلى قوله تعالى : " مثل الذين حملوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات اللّه واللّه لا يهدي القوم الظّالمين " [5][45]

ج – الحرص على طرح العظة أو العبرة أو المثل :

نلحظ أنّ عثمان جلال لجأ إلى اتّباع طريقة فنيّة تحسب له ، وهي إعادة صياغة الأمثال العاميّة الدّارجة في قالب لغويّ فصيح في كثير من حكاياته ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في خاتمة حكاية " الذّئب الذي لبس ملابس الرّاعي " :

فاخش الكلام إذا سلكت لحاجة إنّ البلاء موكل بالمنطق [6][46]

وكذلك قوله في خاتمة حكاية " الذّئب والصّيّاد " :

---

[38] 2- العيون اليواقظ ، الحكاية 125 ، ص127.

[39] 3- المصدر السابق ، الحكاية 10 ، ص 13 .

[40] 4- المصدر السّابق ، الحكاية 53 ، ص53.

[41] 1- مطلوب ، د. أحمد . معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها . بيروت ، لبنان ، 2000، ص 371 –372–373.

[42] 2- العيون اليواقظ ، الحكاية 138، ص 141 ، 142 .

[43] 3- سورة النّمل ، الآية 34 .

[44] 4- العيون اليواقظ ، الحكاية 185 ، ص 192 .

[45] 5- سورة الجمعة ، الآية 5 .

[46] 6- العيون اليواقظ ، الحكاية 67 ، ص 67- 68 .

عند تمام البدر يبدو نقصه وربّما ضرّ الحريص حرصه [7][47]

وأيضاً هذا البيت الذي ختم به الشّاعر حكاية " الذّئاب والنّعاج " :

إذا كان الطّباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب [8][48]

أمّا الأمثال العاميّة الشّائعة بين النّاس فقد أوردها الشّاعر كما هي ، ومثال ذلك ما ختم به الشّاعر حكاية " الكلبتين " : قالت قالوها متولة اتمسكن لمّا تتمكّن [1][49]

كما نظم الشّاعر هذا المأثور الشّعبي على هيئة المثل في حكاية " الذّئب والأمّ وولدها " :

أدعو على ابني وقلبي يقول : ياربّ لا لا [2][50]

ونجد في أغلب حكاياته أقوالاً حكيمة مقتضبة ، ومثال ذلك الشّطر الأخير من البيت الأخير في حكاية " بغلة الأثقال وبغلة المال " :

فإنّما العين تصيب الغالي والنّائبات تتبع المعالي [3][51]

وأيضاً الشّطر الثّاني من البيت الأخير في حكاية " شجرة البلّوط والسّنبلة " :

ولم يصبه من أذى ولا ضرر وربّما كان الهلاك في الكبر [4][52]

نلحظ كيف أنّ محمّد عثمان جلال كان حريصاً على أن يختم كلّ حكاية بمغزى خُلقي ، متّبعاً في ذلك طرقاً متنوّعة، منها أنّه يأخذ المثل العاميّ ، ويعيد صياغته من جديد بلغة فصيحة ؛ ليتلاءم مع الحكاية ، ولحرصه على أن تكون العبارة قويّة الأداء للمعنى ومفهومة لأيّ قارئ .

بينما نجده قد أورد الأمثال العاميّة كما هي ؛ ليضفي على القصّة روح المرح ، ولتكون حكايته خفيفة الرّوح ، ظريفة في عباراتها وألفاظها العاميّة ، وبذلك يستمتع القارئ بما فيها من فكاهة ودعابة .

نخلص ممّا سبق أنّ لغة " العيون اليواقظ " هي لغة عاديّة سهلة ، فالجمل قصيرة ، والتّراكيب تميل إلى السّجع من دون تعقيد . وأسلوب الشّاعر يميل إلى التّيسير اللّغويّ ، ويبالغ عثمان جلال في هذا أحياناً فيستخدم الكلمات العاميّة المتداولة في مجتمعه ، ويلجأ إلى أسلوب التّضمين للنصّ القرآنيّ أو الحديث النّبويّ أو المثل الحكيم ، وجعل المثل والموعظة في خاتمة أغلب حكاياته ، فكانت مضامين هذه الحكايات هي مضامين تعليميّة وأخلاقيّة ووجدانيّة تفيد مرحلة الطّفولة .

ثالثاً – تعدّد الأوزان الشّعريّة في حكايات " العيون اليواقظ " :

نظم الشّاعر عثمان جلال حكايات ديوانه الشّعريّة بطرق ثلاث هي :

1– النّظم الشّعريّ باستعمال مقطوعات بحر الرّجز :

وهذه الطّريقة هي الغالبة في نظم الحكايات من حيث الشّكل العروضي ، فقد نظم فيها الشّاعر سبعاً وستّين ومائة حكاية ، ومثال ذلك قول الشّاعر في مطلع حكاية " الدّبّة وصاحبها " :

---

[47] 7– المصدر السّابق ، الحكاية 154 ، ص 159 –160.

[48] 8– المصدر السّابق ، الحكاية 44، ص 44 .

[49] 1– العيون اليواقظ ، الحكاية 94، ص 95 .

[50] 2– المصدر السّابق ، الحكاية 126 ، ص 128– 129 .

[51] 3– المصدر السّابق ، الحكاية 4 ، ص7.

[52] 4– المصدر السّابق ، الحكاية 55، ص55.

حكاية تهدي إلى الأحبّه في رجل قد صاحبته دبّه
واشترطت عليه أن يقيما في بيتها منعما مخدوما [1][53]

فالشّاعر نظم حكايته على بحر الرّجز في شعر مزدوج القافية ، " وفي الأدب العربيّ المزدوج (muzdawij) قصيدة ، لكلّ بيت فيها قافية خاصّة ، مع اتّحاد القافية في شطري كلّ بيت ، وبحر هذا النّوع (الرّجز) عادة . " [2][54]

2- النّظم الشّعريّ العادي :

وفي هذه الطّريقة يتكوّن البيت من شطرين ، وتلتزم قافية آخر الشّطر الثّاني في جميع الأبيات ، ومثال ذلك حكاية " الثّعلب والعنب " التي نظمها عثمان جلال مستخدما مجزوء الرّجز :

حكاية عن ثعلب قد مرّ تحت العنب
وشاهد العنقود في لون كلون الذّهب [3][55]

وقد نظم الشّاعر بهذه الطّريقة سبعاً وعشرين حكاية ، مستخدماً فيها بحوراً شعريّة متنوّعة وهي : الطّويل ، والبسيط ، والوافر ، والمتدارك ، والكامل ، والرّمل ، والخفيف .

3- النّظم الشّعريّ الشّعبيّ (الطّريقة الزّجليّة العاميّة) :

نظم عثمان جلال عشر حكايات باللّهجة العاميّة ، مستخدماً طريقة الزّجل ، وقد اتّبع في نظمها طريقة الدّور ، وهو أشبه بالموّال الذي يرويه الفنّان الشّعبيّ ، فهو يبدأ حكايته الشّعريّة بلفظ (دور) ، ثمّ يبدأ في النّظم فيما لا يزيد عن بيتين ، فيعقبهما بالقفلة وهي عبارة (دور منه) ، ثمّ يكرّر نظم الأبيات بنفس الطّريقة ، كما في حكاية " الضفادع يطلبون ملكاً يحكمهم " :

دور
يا صاحب العقل يا سيّد اسمع وحوز المنافع
دا قول ما فيه تعقيد في اللي جرى للضّفادع
دور منه
ربت الضّفادع بغيطان الزّرع والماء لديهم
جم يطلبوا الكلّ سلطان من شان يحكم عليهم
دور منه [4][56]

نلحظ استخدام الشّاعرالألفاظ العاميّة (دا قول – حوز – اللي – ربت – جاهم....) .

وقد ذكر الشّاعر منهجه العروضي في نظم الحكايات بعد مقدّمة كتابه بقوله :

طالما أمتطي الأراجيز فيها وقليلاً أجتاز بحراً طويلاً
وتخلّعت نادراً في القوافي وتبسّطت في اقتفاها قليلا

---

[53] 1- العيون اليواقظ ، الحكاية 34 ، ص 35 .

[54] 2- وهبة ، مجدي . والمهندس ، كامل . معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب . ط 2 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984 ، ص 353 .

[55] 3- العيون اليواقظ ، الحكاية 11، ص 14 .

[56] 4- االمصدر السّابق ، الحكاية 92 ، ص92.

ومن العجز لم أقارب ولكن داراك اللّه عاجزاً مهزولا [1][57]

القيمة التربويّة والتّعليميّة لديوان " العيون اليواقظ " :

ترجم الشّاعر عثمان جلال حوالي نصف حكايات لافونتين ، وصاغها شعراً ، و اقتبس أيضاً من الأدب الوعظي العديد من الأمثال الحكيمة ، والأقوال الشّعريّة المأثورة ، وضمّنها حكاياته ، ولجأ إلى تضمين بعض مفردات الآيات القرآنيّة كما عرضنا سابقاً ، وكلّ ذلك بهدف النّصح والتّعليم والإرشاد .

ونلمح في أغلب مضامين حكاياته وظيفة سعى إليها عثمان ، جلال ، تتمثّل في الغايات الأساسيّة المرجوّة من أدب الطّفل ، وهي الغايات الأخلاقيّة والتّعليميّة والوجدانيّة واللّغويّة والفنيّة .

ومن هنا يمكن القول إنّ ديوان " العيون اليواقظ " يعدّ مرجعاً هامّاً من مراجع أدب الأطفال ، ينقل المعرفة إلى الصّغار ، ويقدّم لهم تجارب البشريّة من خلال المتعة والسّرور ، ويزيد ثروتهم اللّغويّة .

وأمّا في الجانب التّربويّ فيمكن أن نذكر أموراً منها : الحرص غلى غرس شعور المحبّة للآخرين والتّعاون معهم ، والحرص على تكوين الشّخصيّة الواعية المتفتّحة المتوازنة ، وغرس حبّ العمل ، وتفتيق ذهن الطّفل ومواهبه لاكتشاف ما حوله ، وإشباع حبّ الاستطلاع عنده . " [2][58]

ونجد الهدف التّعليميّ في معظم حكايات الشّاعر عثمان جلال ، كما في حكايته " الدّيك الذّي لقى لؤلؤة " ، وتحكي في الأبيات الأربعة الأولى عن ديك عثر على لؤلؤة ، فالتقطها سعيداً ، وذهب بها إلى الجوهريّ لبيعها ، وطلب مقابلها حبّة قمح .

ثمّ يكمل الشّاعر القصّة إلى البيت الثّاني عشر ، فيقول : إنّ شيخاً مرّ به وفي يده كتاب ، وإذ هو " الكشّاف " للزمخشريّ ، فاشتراه منه . يقول الشّاعر في خاتمة الحكاية :

وجدته الكشّاف للزمخشري فقلت نعم بائع ومشتري
وقلت في نفسي كيف هذا لا خاب من بربّه استعاذا
سبحانه يخصّ من شاء بما شاء من أهل الأرض أو أهل السّما
القرط مع غير ذوي الآذان والفول مع غير ذوي الأسنان [1][59]

نلحظ في الحكاية السّابقة كيف وضع الشّاعر في حكايته فكرة (كتاب الزّمخشري) ليؤكّد أهميّة المطالعة ، وهو في الحكاية يقارن بين موقفين : الأوّل : موقفه هو عندما اشترى الكتاب من البائع بثمن زهيد ، وحقّق فائدة ومنفعة ، والثّاني : موقف الدّيك الذّي أضاع اللّؤلؤة عندما باعها للجوهريّ مقابل حبّة قمح .

كما نجد المعنى الإسلاميّ عندما ذكر الشّاعر حكمته في خاتمة حكايته بقوله :

سبحانه يخصّ من شاء بما شاء أهل الأرض أو أهل السّما

كما يذكّر في البيت الأخير بالمثل الشّعبي " يعطي الحلق للّي بلا ودان ، وكلّ فولة ولها كيّال . " . أمّا لغة الحكاية فهي لغة فصيحة تتأرجح بين الجزالة والبساطة .

---

[57] 1- العيون اليواقظ ، ص 2 .

[58] 2- بريغش ، محمّد حسن . أدب الأطفال أهدافه وسماته . ط 2 ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، 1416هـ - 1996م ، ص 131 – 132 – 133.

[59] 1- العيون اليواقظ ، الحكاية 188 ، ص 195 .

وهكذا نجد أنّ الحكاية عند عثمان جلال هي قصّة متكاملة لها بداية ونهاية ، وحبكة فنيّة ، وأحداث متسلسلة ، وشخوص من الحيوانات ، مستخدماً الأوزان المناسبة لحكاية الأطفال ، مع ميله إلى الفكاهة ، واهتمامه بالعظة في خاتمة الحكاية ، وهذا ما يحبّه الطّفل . يضاف إلى ذلك مزيّة فنيّة امتلكها الشّاعر في سرد حكاياته ، تكمن في قدرته على تطويع أسلوب الحكي على ألسنة الحيوانات ، ليتلاءم وتسلسل أحداث الحكاية .

وهكذا يمكننا القول : إنّ محمّد عثمان جلال في ديوانه " العيون اليواقظ " يعدّ من رجال التّربية والتّعليم في مصر، وأحد مؤسّسي أدب الأطفال المعاصرعند العرب ، وحكاياته المترجمة بأسلوبه تصلح للصّغار والكبار بما تتضمّنه من فائدة ومتعة ، وديوانه هذا يذكّرنا بكتاب " كليلة ودمنة " هذ الكتاب الذي ترجمه ابن المقفّع عن اللّغة الفهلويّة حوالي منتصف القرن الثّامن الميلاديّ ، " وقد كان هذا الكتاب سبباً في ظهور هذا الجنس الأدبيّ الجديد (الحكاية على لسان الحيوان) في اللّغة العربيّة ، ولعلّ الكتابات التي كتبت عن هذا الجنس الأدبي جاءت متأخّرة عن كليلة ودمنة ومتأثّرة به . " [2][60]

الاستنتاجات والتوصيات :

ممّا سبق نستطيع القول إنّ الشّاعر محمّد عثمان جلال أوّل من ترجم حكايات لافونتين في كتابه " العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ " بأسلوبه الشّعريّ المزدوج القافية ، ولم يتقيّد في ترجمته بالأصل ، وإنّما حاول إضفاء الطّابع المصريّ على تلك الحكايات ، فكان بذلك سبّاقاً في هذا المجال .

واستطاع عثمان جلال في حكاياته بما اقتبسه من لافونتين أن يضيف إلى الحكم والمواعظ العربيّة مجموعة من الحكم والمواعظ التي تضمّ جزءاً كبيراً من حكايات إيسوب . أضف إلى ذلك أنّه استطاع بترجمته حكايات لافونتين التّأثير على الشّعراء ، ودعاهم إلى خلق نماذج مماثلة في الشّعر العربيّ الحديث .

وهكذا أسهم عثمان جلال من خلال ديوانه " العيون اليواقظ " في الكتابة للأطفال بأسلوب يناسبهم ، وأخذ من تجارب الآخرين ، وغيّر فيه بما يناسب عاداتنا وأخلاقنا وتربيتنا الإسلاميّة ، ملتمساً الحكمة من مكامنها ، حريصاً على تعليمها لأطفالنا بأسلوبه وشعره ، واستطاع أن يوظّف عالم الحيوان في تكوين عادات صحيحة ، وأخلاق اجتماعيّة وفرديّة عند الطّفل ، كما فعل لافونتين في حكاياته .

وبرأينا : إنّ ديوان " العيون اليواقظ " بما تضمّنه من أساليب لغوية قدّم فائدة وتسلية للأطفال ، ويمكن عدّه مرجعاً هامّاً في أدب الأطفال ، وأسهم في إثراء لغة الطّفل ، واللّغة وثيقة الصّلة بالتّفكير ، كما أنّ تقدّم الفكر ورقيّه وازدهاره مرتبط أشدّ الارتباط بالنّموّ اللّغويّ .

ونستطيع القول : إنّ العلاقة بين أدبيّات الطّفل وديوان " العيون اليواقظ " تحقّقت في عديد من وظائف أدب الطّفولة كالوظيفة التّعليميّة ، والأخلاقيّة ، والوظيفة الجماليّة واللّغويّة في القصّ على ألسنة الحيوانات المحبّبة للأطفال ، وهو تلقين غير مباشر يحبّه الأطفال . والوظيفة اللّغويّة حيث إنّ ظاهرة التّيسير اللّغويّ واضحة عند الشّاعر عثمان جلال ، وهذا جعل الأطفال يتابعون الحكايات ، ويفهمونها ، ويدركون مغزاها .

إضافة إلى جرأته على المزج بين الفصيح والعاميّ ، وبذلك يعدّ من أوائل الّذين نهضوا بأدب الأطفال في مصر والوطن العربيّ في وقت مبكّر في عصره .

---

[60] 2- الحديدي ، علي . في أدب الأطفال . ط 2 ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، 1976م ، ص 167- 168 .

المصادر والمراجع :

1 – القرآن الكريم .

2– إيسوب . *خرافات إيسوب*. تر : مصطفى السّقا وسعيد جودة السّحار. د ط ، دار الكتاب العربيّ، مصر، بلا .

3– بريغش ، محمّد حسن . *أدب الأطفال أهدافه وسماته* . ط2 ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، 1416هـ– 1996م.

4– الجاحظ . *كتاب الحيوان* . ج 2 ، تحقيق وشرح : عبد السّلام محمّد هارون ، ط2 ، القاهرة ، 1385هـ – 1965 م .

5– جلال ، محمّد عثمان . *العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ* . ط1 ، مطبعة النّيل ، مصر ، 1324هـ – 1906م .

6– الحاني ، ناصر . من *اصطلاحات الغربيّ* . د ط ، دار المعارف ، مصر ، 1959م .

7– الحديدي ، علي . *في أدب الأطفال* . ط2 ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، 1976م .

8– الحطيئة . *ديوان الحطيئة* . تحقيق : نعمان أمين طه ، طبع مصر ، 1958م .

9– الحلوي ، حسيب . *الأدب الفرنسي في عصره الذّهبي* . ج 3 ، ط 2، 1956م .

10– حميدة ، د. عبد الرّزاق . *قصص الحيوان في الأدب العربي* . د ط ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، 1951 م .

11– زلط ، أحمد . *أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال* . ط 1 ، دار النّشر للجامعات المصريّة ، مكتبة الوفاء ، 1415هـ – 1994م .

12– سعيد ، د. نفوسة زكريّا . *خرافات لافونتين في الأدب العربي* . د ط ، كليّة الآداب ، جامعة الاسكندريّة ، مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة ،1976م .

13– سويلم ، أحمد . *أطفالنا في عيون الشّعراء* . ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 1984م .

14 – شوقي ، أحمد . *الشّوقيّات* . ط 1 ، المؤيّد والآداب ، 1898 .

15– فون دير لاين ، فردريش . *الحكاية الخرافيّة* . تر : د. نبيلة إبراهيم ، ط1 ، دار القلم ، بيروت ، نيسان – 1973 م .

16– قرانيا ، محمّد . *جماليات القصّة الحكائيّة للأطفال في سوريّة* . د ط ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2009م .

17– لافونتين . *حكايات لافونتين* . تعريب : جورج أبي صالح وجورج شبلي . د ط ، لبنان ، 1995م .

18– مطلوب ، د. أحمد . *معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها* . د ط ، بيروت ، لبنان ، 2000م .

19– نجيب ، أحمد . *أدب الأطفال علم وفنّ* . ط 1، دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، 1411 هـ ، 1991 م .

20– هلال ، د. محمّد غنيمي ، *دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربيّ المعاصر* . د ط ، جامعة الدّول العربيّة ، معهد الدّراسات العربيّة العالميّة ،1961– 1962م .

21– وهبة ، مجدي . والمهندس ، كامل . معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب . ط 2 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984 .